دراسة

قراءة في الخطاب التحرري في غرب افريقيا

المصدر: مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

تاريخ الإصدار: 27 آب / أغسطس 2023

يقول القس ديزموند توتو (جنوب افريقيا)

عندما جاءت البعثات التبشيرية الأوروبية الى افريقيا جاءوا ومعهم الكتاب المقدّس، وكانت الأرض معنا: قالوا لنا لنصلّ، فأغمضنا أعيننا، وعندما فتحناها وجدنا الكتاب المقدّس معنا والأرض معهم.

فهرس:

مقدمة

(1) العوامل التي حرّكت الخطاب التحرري الجديد
- **أ. الاستعمار لم يمت**
- **ب. خيرات افريقيا حكر على الغرب**

(2) العناوين الأساسية للخطاب التحرّري الجديد
- **أ. محاربة الامبريالية المتوحشة والعبودية والاستعمار الجديد**
- **ب. الانفتاح على القوى الصاعدة الأخرى لبناء المستقبل الجديد**

****

إنّ قارة أفريقيا ومواردها وموقعها وامتدادها أقوى أسباب الاستعمار الغربي الذي ابتدع الحجج لكل بلد احتله واستخدم أساليب عدة وطورها بدخوله الانقلاب الصناعي الأول، وكلها أدوات للسلب والنهب، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل سعى إلى القضاء على كل ما هو محلي من قيم وثقافات وديانات، واقتصاديات وكانت رد فعل الأفارقة ماثلة في حركات التحرر التي واجهت الاستعمار الغربي القديم بمختلف أشكاله كالاستعمار الاستيطاني والحماية، والوصاية واستطاعت إرادة التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي والديني في النهاية أن تنتصر ـ وهكذا ما بناه الاستعمار طيلة خمسة قرون هدمته حركات التحرر في حوالي نصف قرن وهدمت معه كبرياء الإمبراطوريات الاستعمارية التقليدية. لكن المفارقة الكبرى، أنّ ارباب الاستعمار ذاته دخلوا من جديد بنماذج استعمارية جديدة وبنظرة استعلائية واضحة لم تعترف صراحة باستقلال هذه الدول ولا بسيادتها. ولأنها تمتلك مقومات القوة والهيمنة استطاعت السيطرة بشكل كبير على موارد وثروات هذه القارة عبر مشاريعها الوهمية، والأنظمة السياسية العميلة التابعة لها. اليوم، تتحرك الرمال تحت اقدامهم من جديد، وتتعالى الأصوات داخل القارة السمراء مطالبة بالتغيير والتحرر.

في السنوات الأخيرة، بدا الخطاب المعلن على لسان العديد من السياسيين والنشطاء والمسؤولين الافارقة مهم وملفت، خطاب يؤسس لمرحلة جديدة على كل المستويات، خطاب يطالب بالحرية الحقيقية، والاستقلال المفقود. انه الخطاب التحرري الذي أعلن عنه العديد من المتمردين الأحرار على مشاريع الاستعمار القديم والجديد. وعلى ضوء المتغيرات السياسية والجيواستراتيجية التي تواجهها القارة الافريقية اليوم، تتعالى الأصوات المطالبة بالتحرّر من قيود الهيمنة الغربية، وبضرورة بناء مستقبل جديد لأبناء القارة السمراء بعيدا عن مشاريع الامبريالية البغيضة.

بدأ التحرّك التحرري كما أطلق عليه من قبل أبناء افريقيا في الغرب والساحل، بداية من مالي وبوركينا فاسو، وغينيا وصولا الى النيجر كتكملة لمسار طويل كما يقول أحد الشباب الثوريين الماليين[1] :

ما حصل في مالي وبوركينا فاسو والنيجر هو تكملة لمسار يحلم به الشباب الافريقي الذي يطالب بالتحرر من الهيمنة الاستعمارية الفرنسية والغربية على موارده وثرواته."

كما اعتبر البعض من الناشطين الافريقيين[2] أنّ:

ما حصل في مالي وبوركينا، ومن ثم النيجر، سيصل حتما الى دول شرق افريقيا، وعلى حكام دول الشرق الافريقي ان يراجعوا حساباتهم جيدا وما هم عليه لأنّ ريح التغيير قادمة لا محالة.

وربما هذا ما يفسّر تسارع وتيرة الانقلابات السياسية والعسكرية في دول القارة[3]. من هذا المنطلق، يبدو ما حصل في دول غرب افريقيا والساحل ويحصل اليوم، هو حلم افريقيا، والشائع الان أنه بدأ يتحقق، وانه وليد إرادة شعبية ورغبة في التغيير. وربما هو دورة أخرى من الاستقلال في افريقيا، وموجة تحرر تنتظرها تلك الدول لتصل إلى الاستقلال وتحرر منابعها وتخطط لمستقبل شعوبها.

انطلاقا من أهمية الخطاب التحرري الذي بدأ يخرج علنا وبوتيرة سريعة من قلب افريقيا من الضروري النظر في العناوين الأساسية لهذا الخطاب والتي بدأت بالتركيز على أنّ الاستعمار في افريقيا لم يمت وحان الوقت لمواجهته **(1)**، مع تبيان الجرأة والصراحة والتمكّن والإصرار على التحرر في البيانات والخطابات التي خرجت اليوم من قلب القارة الافريقية لتثبت أنّ دورة التحرر قد بدأت فعليا ولن تتوقف حتى تحقق أهدافها **(2)**.

[1] محمد عثمان ناشط مالي في حركة التحرر الشبابية، ندوة التجمع العالمي لدعم خيار المقاومة بعنوان تداعيات التطورات الأخيرة في افريقيا وولادة محور مقاوم جديد، بيروت، 23 أغسطس 2023.

[2] مولومبا يوسف ناشط سياسي من اوغندا، أثناء مداخلة في ندوة التجمع العالمي لدعم خيار المقاومة 2023.

[3] الانقلاب في الغابون في 30 أغسطس 2023، وفقا للصحف الفرنسية تحت عنوان فرنسا في الغابون.

(1) العوامل التي حرّكت الخطاب التحرري الجديد

هناك العديد من العوامل الخارجية والداخلية التي ساهمت بشكل كبير في تحريك الحس التحرري وفي بناء الخطاب الجديد، خطاب التمرد على السياسات الاستعمارية ومشاريع الهيمنة الغربية.

أ. الاستعمار لم يمت

تحت هذا العنوان يتحدث الكثير من الافارقة عن حالة قارتهم حيث بالرغم من أنّ دول القارة نالت استقلالها، الا أنّ كثيرا منها لا يزال بشكل او باخر يخضع لهيمنة الاستعمار القديم، ذلك بأنّ المستعمرين الأوروبيين أخرجوا جيوشهم من القارة ولكن أبقوا على وكلاء عملوا على تهجينهم ابّان حقبة الاستعمار. على سبيل المثال منذ خروج فرنسا من القارة قبل قرابة الخمسين عاما حكمت باريس مستعمراتها القديمة من وراء الستار حيث أبقت على نفوذها ولم تسمح لأحد بالتحرّر فعليّا من هيمنتها على القارة حتى لو كلّفها الأمر اغتيال رؤساء وتدبير انقلابات واشعال هروب أهلية. ويقدر عدد الرؤساء الذين أطاحت بهم فرنسا في نصف القرن الأخير قرابة 22 رئيسا ما بين اغتيالهم وازالتهم عن السلطة[4]. كذلك فعلت زميلتها بالاستعمار بريطانيا، فالكنز الافريقي أكبر من أن تستغني عنه أوروبا بسهولة.

مع تداعي الامبراطوريات القديمة والقوى التقليدية وتحديدا فرنسا وبريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية، وبروز قوى فاعلة جديدة على الساحة الدولية، صوّبت هذه القوى انظارها نحو القارة الافريقية الغنية التي يلقبها العالم بالسمراء وارادت هي الأخرى نصيبها من هذه الثروات، فدخلت الولايات المتحدة على الخط، لتحتكر نصف النفط الذي تنتجه نيجيريا البلد الاغنى افريقيا بالذهب الأسود[5]، وعلى خط المنافسة والمواجهة للمصالح الامريكية، دخلت أيضا الصين التي بدأت منذ سنوات بالتمدّد في دول افريقيا تحت عنوان "التنمية". ومن المتوقع ان تصل أرباح الصين في القارة الافريقية الى 440 مليار دولار بحلول 2025 وفقا للتقديرات الاقتصادية[6]. ودخلت روسيا أيضا على خط المنافسة، والصراعات العسكرية المنتشرة في القارة. وعبر ما يعرف بالشركات المتعددة الجنسيات، وعبر وكلاء وشخصيات سياسية، أصبح الفساد بسبب السياسيين الافارقة المدعومين من الغرب، واحدا من مصادر نهب ثروات القارة. ففي العشر سنوات الأخيرة فقط، خسرت افريقيا بسبب انتشار الفساد السياسي والمالي نحو 1.5 تريليون دولار منها 60% نتيجة فساد الشركات المتعددة الجنسيات، و35% أنشطة غير قانونية لعصابات التهريب للسلاح والمخدرات وتجارة الأعضاء البشرية، و5% رشاوي لكبار الموظفين والمسؤولين. يبدو أنّ العالم كله يريد ما في افريقيا، ويريد حرمان أهلها من خيراتها.[7]

ب. خيرات افريقيا حكر على الغرب

نظرا لهذا السباق على خيرات افريقيا، ومع كثرة ما في القارة من ثروات الا أنّ افريقيا تشهد أسوأ نسب الفقر في العالم، كما أنها موطن عديد المجاعات التي ضربت دولا مختلفة من القارة. وبالأرقام فإنّ ما يقرب من نصف سكان افريقيا يعيشون تحت خط الفقر حيث نصيب الفرد الافريقي سنويا من الناتج المحليّ 850 دولار امريكي ومتوسط عمر الفرد حوالي 55 سنة[8]، في حين أنّ متوسط عمر الفرد في اليابان مثلا 85 عاما، وأنّ قرابة مليون طفل في افريقيا يواجهون خطر الموت كليا بفعل الجوع، على الرغم من أنّ هؤلاء يعيشون في القارة الاغنى في العالم. لكن هي ذات القارة التي تذهب

[4] NCI 360 du dimanche 27 août 2023 | Afrique de l'Ouest, les accords coloniaux en question! https://www.youtube.com/watch?v=hN7K57b4eLw

[5] https://attaqa.net/2023/06/16/%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%AA

[6] https://www.youtube.com/watch?v=vYz18smyq-M قادة إفريقيا الجدد الذين أعلنوا التمرد على الغرب لعيون روسيا

[7] https://www.youtube.com/watch?v=uCJuY4YI2VE بالكتاب المقدس سرقوا ثرواتهم.. هكذا نهب الأوروبيون إفريقيا - وثائقي

[8] https://aawsat.com/home/article/528151/35-%D9%85%D9%86

خيراتها لغير أهلها، والطريف في الموضوع أنّ الغرب ناهب خيرات القارة هم أكثر المتبرعين لأبناء افريقيا، وأكثر المشتغلين فيها في مجالات التنمية[9]. لكن ما ينفقونه هناك على مشاريع التنمية والتبرعات يشكّل نسبة قليلة مما يتمّ نهبه.

إنّ دول غرب افريقيا ستغيّر اسمها قريبا أو هكذا يبدو، وستتحدّى الاتجاهات، وقد تسمّي نفسها "دول الشرق الجديد" فأبناء الادغال قرروا تحدّي مستعمرهم القديم والجديد، (الفرنسي والبريطاني والامريكي)، ورفعوا التحدّي الى استخدام القوة العسكرية، وبالمقابل منحوا فرصة لقوى أخرى صاعدة مثل روسيا والصين وغيرهما من القوى الصاعدة كالهند وإيران مثلا فرصة الاستفادة من هذا الهامش التحرري للدخول الى السوق الافريقي بمنطق وأدوات مختلفة تقوم على قاعدة التعامل بالمثل، والالتزام المشترك.

إذَا تبدو الكثير من العوامل الخارجية المرتبطة بمشروع الاستعمار القديم والجديد، كما العوامل الداخلية محفّزا لخروج الخطاب التحرري الذي ينادي بضرورة التمرد على هذه السياسات لتحقيق الحرية الحقيقية. لقد ساهمت هذه العوامل في تبلور الوعي التحرري بأفريقيا، هذه العوامل التي تتمثل في معاناة الافارقة من السياسات الاستعمارية القائمة على نهب الشركات والحكومات، واقصاء الأهالي وسيطرة الأقليات البيضاء على دواليب الاقتصاد والحكم والنظم العنصرية، والاضطهاد والظلم وحملات الاعتقال والحضر السياسي، وكبت الحريات وتحول الفئة الداخلية والمستوطنة الى سادة، وتذمّر الافارقة من محاولات الاستعمار الأوروبي القضاء على تراثهم الحضاري وتقاليدهم. إضافة الى دعم البعثات التبشيرية للاستعمار ومساندته في أهدافه، والزّج بالأفارقة في كل الحروب الأوروبية وفي الجهات الأمامية لقاء وعود لا طائل منها، وكان للاحتكاك الحضاري بين الأفارقة والبلدان الاستعمارية نتيجة نقل أبناء القارة الإفريقية كعمال أو محاربين في بلدانهم الأثر البارز، اذ شاركوا في الرخاء والتطور السائد في هذه الدول الاستعمارية وبالمقابل تنكروا لدورهم وجازوهم بممارسات أنانية واستغلوهم بل وعملوا على إبقائهم في تخلّفهم.

من جهة أخرى فقد عجّل هذا الاحتكاك في تطور مستوى الوعي السياسي والثقافي لدى الأفارقة خاصة الطبقة المتنورة، اذ تفتحت عيونها على حقيقة الاستعمار وأوضاع بلدانه مقارنة بالأوضاع التي أصبحت عليها المستعمرات الأفريقية. وقد شملت العوامل الأخرى معاناة شعوب إفريقيا من الفقر والجهل والمرض، ونظرة الاستعمار الاستعلائية واسترقاقه للأفارقة كمصدر لثروته الاقتصادية ولتجارة الأوروبيين الموجهة إلى العالم الجديد، يضاف لها اكتساب شعوب المستعمرات خبرة عسكرية من جراء المشاركة في الحروب الأوروبية والعالمية حيث وظّفت في تفجير الثورات وتأطيرها حتى تحقق الاستقلال، كما زالت عقد الخوف والرهبة التي زرعها الرجل الأبيض، وبهذا كانت الحرب العالمية الثانية نعمة على شعوب المستعمرات بظهور المد الاستقلالي وبانهيار النظام الاستعماري وتراجع مكانته الدولية وهو ما هيأ الظروف لانتشار المد، والخطاب التحرري الذي اصبح يحمل العديد من العناوين الجديدة والاصوات التي تطالب ببناء المستقبل على خارطة جيوسياسية جديدة.

[9] https://www.usaid.gov/fr/senegal

(2) عناوين الخطاب التحرّري الجديد

ترتكز العناوين الأساسية للخطاب التحرري في افريقيا على مسألتين هامتين، مسألة تتعلق بمحاربة مشاريع الاستعمار بكل أشكاله المبطّنة العلنية وغير العلنية، ومسألة أخرى تتعلق بإعادة البناء لتثبيت فكرة التغيير عبر الانفتاح على علاقات جديدة وقوى جديدة تتفق معها في نبذ سياسات الغرب الاستعمارية.

أ. محاربة الامبريالية المتوحشة والعبودية والاستعمار الجديد

يقول البعض من المطالبين بالتحرر الكثير، ويتوجهون بخطابهم الجريء المعلن لأرباب الاستعمار الجديد ومخلفاته القديمة، فنجد مثلا، **رايلا اودينغا** وهو سياسي كيني في لقاء رسمي[10] يقول متوجها للسفيرة الامريكية:

أتركوا الشـعب الكيني وشـأنه، إذا أدّت الاحتجاجات الى حوار بين ايتشـونغوا وكالونزو فإنّ الاحتجاج كله جيد، أقول للســفيرة المارقة، كينيا ليســت أمريكا، كينيا ليســت مســتعمرة أمريكية، أغلقي فمك أثناء وجودك هنا، والّا سنقوم بطردك حتى تعودي الى البلد الذي أتيتي منه".

كان لافتا الخطاب الجديد الذي أطلق على لسان أحد شباب افريقيا الجدد، وهو **رئيس بوركينا فاسو إبراهيم تراوري** هذا البلد الذي ظلّ منسيّا لسنوات طويلة، والان أصبح على الخريطة بفضل زعيمه الشاب، حيث خطب حول مستقبل القارة، في الوقت الذي كان يجري ما يسميه البعض انقلابا غيّر مستقبل القارة الى الابد، وهو انقلاب يراه الافارقة الوطنيون خطوة في الاتجاه الصحيح، ويراه الغرب والفرنسيون تحديدا عملا عدائيا يعاند مصالحهم، فكان لزاما عليهم أن يسمعوا هذا الخطاب من زعيم شاب على ما يبدو واثق مما يقول ومما قاله في موسكو خلال القمة الروسية-الافريقية الثانية في الشهر الماضي. خطابه كان عبارة على كلمات في شكل أسئلة، صاغها شاب يحزنه ما الت اليه أحوال قارته وشعوبها. بدأ الرئيس الشاب بالسؤال، واراد أن يفهم[11]:

كيف لقارته الغنية بالثروات في باطنها وعلى سطحها، والمليئة بالخيرات، والغنية بالمعادن، وتشرق الشمس يوميا في سماءها، وتتفجر فيها الأنهار والينابيع، كيف لهذه القارة أن تكون فقيرة، بل أفقر قارة في العالم؟ كيف لهذه القارة أن تكون جائعة؟ وكيف للرؤساء أن يتحولوا الى متسوّلين؟

[10] 'SHUT YOUR MOUTH, ROGUE AMBASSADOR! KENYA IS NOT USA'S COLONY!' RAILA ROASTS USA AMBASSADOR!! https://www.youtube.com/watch?v=EZJsKd01txg

[11] كلمة الرئيس الانتقالي لبوركينا فاسو خلال القمة الروسية الأفريقية https://www.youtube.com/watch?v=DDONPqjtBuU

أسـئلة يراها إبراهيم تراوري مشروعة، لكن الإجابة عليها تحتاج الى جرأة. وهو كما وصـف نفسـه، وبالنيابة عن جيل جديد كامل في افريقيا، استمرّ في توصيف ما آلت اليه أحوال القارة الفقيرة:

التي يرغم أبناؤها على الارتماء في البحار من أجل الوصول الى أوروبا مجبرين على الموت في قاع المحيطات، ربما ليحيا غيرهم منعّمين ومستفيدين من خيرات هؤلاء الغرقى الذين تسمّيهم أوروبا مهاجرين غير شرعيين، فيما تسمّي خيراتهم ثروات مشروعة.

تراوري بعد طرح هذه الأسئلة لم ينسى الثناء على روسيا التي اعتبرها على حد وصفه من العائلة الافريقية، وقال:

إنّها تشارك القارة السمراء ذات التاريخ، وذكر ما قام به الروس عندما كانوا سوفيات حين واجهوا آلة الحرب لألمانيا النازية، لكن بنهاية الحرب، جُيّر النصر للأمريكيين والحلفاء. وقال إنّ ذات الأمر حصل مع أبناء أفريقيا الذين تمّ ترحيلهم قصرا في الحرب العالمية الثانية، وتجنيدهم في صفوف الجيوش الغربية، ووُضعوا في الصفوف الأمامية على الجبهات أمام الآلة العسكرية النازية دون أن يتم ذكرهم في صفحات التاريخ الغربية، وأفلام هوليوود الامريكية التي اكتفت بالحديث عن بطولات الغربيين بوجه النازية.

في هذا تلميح من الزعيم الشاب، الذي وضع نفسه وقارته بذات الخندق مع روسيا في مواجهة الغرب، الغرب الذي ألمح تراوري أنه نهب قارته، وجعلها فقيرة تتسوّل ما تمّ سرقته منها. وكان واضحا من خطاب الرجل الذي بات الأقوى في افريقيا، أنّ هذا الوضع لن يدوم، فالرجل ما أن أنهى القمة وشكر الروس على كرمهم، حتى أصدر عدة قرارات بمقاطعة ووقف التعاون مع فرنسا والغرب، ووقف تصدير الكثير من خيرات بلاده إليهم. بل أكثر من ذلك، راح يهدد فرنسا ووكلاءها في افريقيا بالحرب، في حال تدخلوا عسكريا في جارته النيجر[12].

وأكثر من ذلك تمكّن الرئيس تراوري الذي لم يتجاوز عمره 35 سنة، من تكوين حلف صغير يضمّ كل من مالي والنيجر، وقال:

إنّ مهمّتنا هي التصدّي لأي مغامرة عسكرية في غرب افريقيا.

وهذا يعني أنّ خطابه في روسيا تمّ ترجمته عمليا الى أفعال على الأرض في افريقيا. هذا ما بات يخيف أكثر أعداء الرجل في الغرب، أن يقرن أقواله بأفعال. بالتأكيد لن يروق لاحد في الغرب أن يخرج لهم في هذه المرحلة زعيم افريقي شاب

[12] https://www.youtube.com/watch?v=hlrUKcId_3w

بهذا الخطاب وهذه الجرأة، في قارة لطالما كانت مرتعا لجيوشهم وشركاتهم. ولكن المصائب حين تحلّ لا تحلّ فرادى على الغرب، فقد فجّر تراوري مفاجأة أخرى حين أعلن من قلب موسكو عن:

بناء مفاعل نووي في بوركينا فاسو بدعم روسي

وهذا خط أحمر فرنسي واوروبي وغربي بالتأكيد، ولن يحتمل أحد في أوروبا ولا حتى في الولايات المتحدة، إمكانية نشوء "كوريا شمالية جديدة" على أعتاب أوروبا، ليصبح الرئيس الصغير سنا مصدر أكبر قلق للجميع في الغرب.

يمكن اعتبار هذه التصريحات الجريئة استجابة لفكرة نشوء نظام عالمي جديد في افريقيا معادي للغرب ما يؤكد نظرية الرئيس الروسي بوتين بأنّ نظاما عالميا جديدا قد ولد، وعلى الغرب والولايات المتحدة التسليم بذلك.

كما عبّر **إبراهيم تراوري** رئيس بوركينا فاسو الجديد في لقاء شعبي في بلده قائلا[13]:

اليوم نريد أن نحتفل بوضع خاص ذكره المتحدثون في هذا الحفل سابقا، حالة الصراع. هذا الصراع الذي نصفه بأنه الظهور العنيف والوحشي للإمبريالية والعبودية والاستعمار الجديد الذي لا يزال يفرض نفسه علينا. لقد أطلقنا عليه اسم الإرهاب. هذا المعنى عندما نتحدث عن العثور على الذهب وكميّة فرص العمل التي يمكن أن تتاح للشباب في المناطق الريفية. يجب ان نعلم أن العديد من شبابنا يعملون الان في الحرف اليدوية في أسوأ الظروف ربما يكون وضع حياتهم متشابها لحياة الأوروبيين والامريكيين في القرن التاسع عشر الذين حفروا بأيديهم في ممرّ المناجم. يعيش الشباب في مثل هذه الظروف ويخاطرون بحياتهم.

اليوم نحاول التحديث قليلا لذلك قمنا بتأسيس شركة تسمح لنا باستغلال وتسويق مواردنا القيّمة وخاصة الذهب. الذهب الذي يكبح من أجله شبابنا والأخرون يشترونه مقابل أجر زهيد ويساعد الإرهاب في اخراج البلاد من سيطرتنا. لقد أسسنا هذه الشركة حتى نتمكّن من استعادة سيطرتنا على مراكز التعدين ومنح الشباب فرصة العمل هناك بمعدّات وظروف أكثر احتراما. اليوم نحن لا نحارب بالسلاح فقط في الحرب ضد الإرهاب. لكننا نحارب أيضا من خلال التنمية. طالما أنّ الشباب ليس لديهم وظائف فإنّهم يميلون الى الذهاب الى حيث يمكنهم كسب المال وهذا ما علينا أن نكافح من أجله. أريد أن ارفع القبعة لجميع الشباب الذين تطوّعوا دون أدنى شكّ واندفعوا الى ساحة المعركة. اليوم تحت المطر والضباب والوحل وأينما تم استدعاؤهم انهم يقاتلون من اجل استعادة ارضنا وتحقيق الهدف المسمى بالوحدة الترابية. لذلك كل واحد منّا في أي منصب ومكانة ما، لم نتمكن من أخذ كلاشنكوف، لكن يجب أن نساعد في تطوير وطننا الأم من خلال فعل أشياء أخرى.

[13] https://www.youtube.com/watch?v=hlrUKcId_3w

ب. الانفتاح على القوى الصاعدة الأخرى لبناء المستقبل الجديد

ظهرت العديد من البيانات والخطابات التي أطلقتها كل من مالي وبوركينا فاسو، وغينيا للدفاع عن جارتهم في المعسكر الجديد النيجر التي أنجزت لتوّها انقلابا على رجل فرنسا الرئيس بازوم، وقالت إنّ أي استخدام للقوة لإعادة بازوم للحكم في النيجر سيكون بمثابة اعلان حرب على هذه الدول. وها هي اليوم الغابون تلتحق بركب الانقلابات تناشد التغيير أيضا وتبحث عن طريق الحرية بعيدا عن الهيمنة الفرنسية والغربية. من المعلوم ان التهديد التي وجهته مالي وبوركينا فاسو وغينيا، هو تهديد موجه الى فرنسا تحديدا التي صرّح بعض ساستها بإمكانية التدخل العسكري في بلد اليورانيوم، ومن خلف فرنسا الغرب كله.

صرّحت بعض الدول الافريقية التي لا تزال تتحرك في الفلك الفرنسي والغرب، في لقاءهم تحت غطاء الايكواس في العاصمة النيجيرية[14] لدراسة إمكانيات التدخل العسكري في النيجر لإفشال الانقلاب، بأنّ" غرب افريقيا لابدّ أن يبقى غربيا" لكن مالي وبوركينا فاسو وغينيا لهم رأي اخر. ورايهم يقول:

إنّ القارة الافريقية اختبرت الارتماء في أحضان الغرب والتبعية لأوروبا لقرون طويلة، وأنّ الأوان قد حان لتجربة أحضان أخرى. وهذه الاحضان الجديدة سبق لبعض الدول الافريقية ان جرّبتها وقدموا بذلك توصية لبقية الدول.

بشكل أكثر دقة، وفي غرب افريقيا لكن الى الشمال تقبع الجزائر البلد الذي وان ظلّ على علاقات وثيقة بفرنسا، لكنه شرّع ابوابه للروس منذ كانوا سوفيات. كذلك فعل الجزائريون مع أبناء التنين القادمين من الصين. وبحسب التجربة الجزائرية فان التعامل مع موسكو وبكين أفضل بكثير من التعامل مع الغربيين فهؤلاء الغرب يأكلون وينكرون، وفضلا عن ذلك لا يشبعون ولا يشكرون، ولا يتركون حتى الفتات لأبناء البلد المنهوب الأصليين، بعكس الروس والصينيين الذين وان أكلوا أطعموا غيرهم فهو يفيدون ويستفيدون. وعلى سبيل المثال لا الحصر تشرف بيكين على بناء واحد من أكبر موانئ العالم في الجزائر، وهو ميناء سينافس حتى موانئ أوروبا، ويسمى "الوسط"، وصحيح أن الصين أكبر المستفيدين من هذا المشروع، لكن للجزائر الحظّ الأوفر منه. وهذا ما لم تفعله فرنسا التي استعمرت الجزائر لأكثر من 130 عاما، كما لم تفعله بأي بلد افريقي اخر. بل على العكس تماما حوّل الفرنسيون بلدان القارة التي أسموها "سمراء" الى مجرّد مناجم تستخرج منها الكنوز، وتنقل لتغذي خزائن الأوروبيين، في حين ترك أبناء القارة للحاجة والعوز والفقر والمجاعات والاوبئة. وبخلاف ذلك، تخرج بلدان أوروبا لتشنّ الحملات على الافارقة الذين يختارون طرق الموت والهجرة غير الشرعية للهروب من ازماتهم وتطلق عليهم" غير الشرعيين"، حيث يبدو ان في قواميس الأوروبيين، الهجرة الشرعية هي هجرة المعادن وكنوز باطن الأرض، وخيرات افريقيا أمّا هجرة أبناء القارة فهي هجرة غير شرعية وغير مقبولة ويجب مكافحتها. ومن هنا نفهم ما يجري في بلدان غرب افريقيا والساحل التي تمرّدت على هيمنة الغربيين حيث يمكن تقسيم هذا الأمر الى قسمين:

[14] إيكواس" تخفّف نبرتها: لا خطة لدينا لاستخدام القوة ضد انقلاب النيجر، 25 أغسطس 2023

أوّلا: يتعلق بهيمنة الغرب ووكيلتهم فرنسا على بلدان القارة التي نهبتها لقرون، بل والتحكم في سير الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فقد فرضت فرنسا بالقوة لغتها على القارة، وأدخلتها في محور أطلق عليه "الفرنكوفونية". لكن على ما يبدو، نشأت أجيال جديدة اليوم في افريقيا تعلمت كيف تقول لا بوجه المستعمر.

ثانيا: يتعلق بالقادمين من بعيد، حيث سبق لاستخبارات الغربيين واعلامهم أن اتهموا الروس بتأليب القارة السمراء عليهم عن طريق ذراع موسكو الضارب (مجموعة فاغنر)، والتي سجلت حضورا لافتا في افريقيا في سنواتها الأخيرة، وباتت ظهيرا حاضرا يجيد اللعب خلف خطوط العدو. والمقصود بالعدو هنا، أعداء الروس وافريقيا من الغربيين. فنشطت فاغنر وفق أقل التقديرات في 12 بلدا افريقيا (منها افريقيا الوسطى، ليبيا، السودان والتشاد)[15] بالإضافة الى أنّها تقود الان التمرد على الغرب المستعمر في غرب افريقيا والساحل، هذا بخلاف ما يشبه التحالف القائم بين روسيا والجزائر، حيث صرّح وزير الدفاع الروسي مؤخرا عن عزم بلاده تطوير القدرات القتالية للجيش الجزائري، ولا يقتصر الحضور الروسي على هذا الامر، فروسيا قريبة جدا من مصر أيضا والتي تعتبر أقوى العواصم الافريقية عسكريا، بالإضافة الى حضورها في الشرق الليبي.

الجديد هو التأكيد على المؤكد حيث جنوب افريقيا الداخلة في حلف بريكس مع روسيا والصين، والتي خرج زعيم المعارضة فيها يهتف بحياة الرئيس الروسي، وهذا كله يأتي بعد قمة جمعت روسيا مؤخرا بقادة القارة، كان من أبرز ما نتج عنها صفقات قمح شبه مجانية لدول القارة، وصفقات سلاح بأسعار رمزية قال البعض إنّ حوالي 40 دولة من أصل 52 عازمة على توقيعها مع موسكو. اذًا حضرت روسيا وبقوة، وحضورها هذا جاء على حساب قوة أخرى وهي فرنسا تحديدا التي باتت قواتها تطرد يوميا من بلد افريقي جديد. لكن ليس روسيا وحدها من تريد كسب ودّ القارة، فالصينيون حاضرون عبر اداتهم الاقتصادية العملاقة، واستثماراتهم ومشاريعهم التنموية والتجارية، وهؤلاء أبناء التنين كالروس، بل هم الوجه الاخر لهم يأتي حضورهم على حساب حضور الغربيين الذين-أي الغرب_ لم يبق لهم سوى الولايات المتحدة الامريكية التي أصبحت أبرز من يمثلهم في القارة.

إنّ الحضور الأمريكي يعتبر حضورا ثقيلا، حيث تنتشر عسكريا في أكثر من دولة افريقية، واخر الأماكن التي حلّت بها قوات افريكوم هي تشاد في قلب القارة السمراء، ما يعني أنّ العصر الأوروبي والتنافس الفرنسي الإنجليزي على افريقيا قد ولّى وحلّ محلّه صراع اخر، أبرز اقطابه الولايات المتحدة وروسيا والصين، والمستقبل القريب كفيل بإعلان من الرابح ومن الخاسر من هذا الصراع الذي لا ينتهي على القارة التي يريدها الجميع ويفرّ منها أهلها.

[15] https://www.youtube.com/watch?v=vYz18smyq-M